

## حلقات نقاش



### أوروبا والتحوّلات في العالم العربي

إنّ معضلة السياسة الأوروبية تُجاه ما يجري هي أنها تتولى قيادة عملية احتواء الثورات والإحتجاجات العربية، ما يعني أنها تحاول أن تؤدي دوراً مضخماً يفوق قدراتها السياسية والعسكرية، محاولة توظيف الثورات من أجل إنتاج أنظمة وحكومات وثيقة الصلة بالغرب.



### L'Europe et les transformations dans le monde arabe

Le dilemme de la politique Européenne vis-à-vis à ce qui déroule dans la région est qu'elle assume la conduite de contenir les revolutions et les protestations arabes, ce qui veut dire qu'elle essaie de jouer un rôle élargi qui dépasse ses capacités politiques et militaires. Elle essaie par là d'employer les revolutions pour produire des régimes et des gouvernements en relations étroites avec l'Occident.

أوروبا

والتحوّلات في العالم العربي



**أوروبا**  
**والتحوّلات في العالم العربي**

المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق  
The Consultative Center for  
Studies and Documentation



مؤسسة علمية متخصصة تُعنى بحقلي الأبحاث والمعلومات

**حلقات نقاش:** سلسلة غير دورية تتضمن وقائع الندوات والحلقات التي يعقدها المركز وتُعنى بمقاربة قضايا استراتيجية ومساءل إنمائية مختلفة .

**عنوان الحلقة:** أوروبا والتحوّلات في العالم العربي  
عُقدت الحلقة بتاريخ ٧/٧/٢٠١١، ألقى كلمة الافتتاح فيها رئيس المركز السيّد عبد الحليم فضل الله، وأدارها الأستاذ وليد شرارة وشارك فيها عدد من المهتمين والباحثين، بالإضافة إلى وجوه سياسية وأكاديمية وإعلامية بارزة .  
**المحاضر:** الأستاذ آلان غريش .

**ترجمة وتحرير:** الأستاذ صالح أشمر .

**صادر عن:** المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق .

**تاريخ النشر:** أيلول ٢٠١١ الموافق شوال ١٤٣٢ هـ .

**حقوق الطبع محفوظة**

**العدد:** السادس

**الطبعة:** الأولى

**القياس:** ٢١ × ١٤

**العنوان:** بئر حسن - خلف الفانترزي وورلد

أوتوتسترد الأسد - بناية الإنماء غروب - الطابق الأوّل

**هاتف:** ٠١ / ٨٣٦٦١٠

**فاكس:** ٠١ / ٨٣٦٦١١

**خليوي:** ٠٣ / ٨٣٣٤٣٨

**البريد الإلكتروني:**

dirasat@dirasat.net

www.dirasat.net

**الآراء الواردة في هذه السلسلة لا تعبّر بالضرورة عن آراء  
المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق**

## ثبت المحتويات

- أوروبا وتحولات العالم العربي: تضحّم الدور ..... ٧
- موقف أوروبا من الثورات العربية ..... ١٣
- تعقيبات ..... ٢٧
- الردود ..... ٢٧



## أوروبا وتحولات العالم العربي:

### تضحُّمُ الدور\*

عبد الحلیم فضل الله

لا تثير الانتفاضات العربية أسئلة خاصة بالبلدان التي تشهد أحداثها وحدها ولا بالمنطقة فحسب ، بل تحرك أشرعة النقد والمراجعة في العالم بأسره . وهذا بسبب حداثة الظاهرة وتمايزها عن كل ما سبقها في زمن العولمة ، ولتشابك مصالح الدول الكبرى في منطقة تخضع منذ عقود لتدويل مكثف وغير معهود في العلاقات الدولية . ومع أن الحقائق الداخلية هي التي ترسم آفاق تلك الانتفاضات وتعطيها قوة الدفع فلا يمكن تجاهل ملابساتها الخارجية ، سواء منها التي سبقت الحدث مثل تعثر سياسات أميركا الشرق أو سطية على نحو عرض حلفاءها للانكشاف ، أو التي ترافقت معه كالسعي إلى زج الاحتجاجات الشعبية ، بالترغيب والترهيب ، في سياق الصراعات الإقليمية السابقة ، أو ضمن ترتيبات النظام العالمي القديم المصاب بانتكاسات كبيرة .

---

\* مداخلة الافتتاح في حلقة النقاش التي عقدها المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق في بيروت بتاريخ ٧/٧/٢٠١١ واستضاف فيها الكاتب الفرنسي آلان غريش .



وتتأثر أوروبا على نحو خاص بالحدث العربي ، بفعل الجوار الجغرافي وقوة المصالح المتبادلة بين ضفاف المتوسط الثلاث (الشمالية ، والشرقية ، والجنوبية) ، لكن الأهم هو أن ذلك يأتي في وقت تحصي فيه القارة العجوز مزيداً من الخسائر على صُعد السياسة الدولية المختلفة ، بعد أن ربطت كل عرباتها بقاطرة السياسة الخارجية الأميركية . وقد شهدنا انطفاء آخر علامات التمايز إثر تراجع العواصم الأوروبية الأساسية عن مواقفها المعروفة من حرب العراق تحت طائلة التهديد ، بل إن التحاق أوروبا بواشنطن لم يعد عُرصة للمدّ والجزر مع تغيير اتجاهات الرأي العام فيها أو مع تبدل الحكومات وانكفاء غالبيات برلمانية وانبعث أخرى . ففي النصف الثاني من القرن العشرين لم تكن الشعوب الغربية تقترح لتحديد خياراتها الداخلية فحسب ، بل كانت تصوّت أيضاً على الموقف من المنافسات الدولية ، وكان بوسع أي دولة أن تتبنى سياسة تتراوح بين الاصطفاف الحاد خلف واشنطن مثلاً أو مخالفتها الرأي أو حتى اعتماد خيار الحياد النسبي ، وذلك في سياق مرن ومتحوّل .

وتكتفي أوروبا الآن بتأدية أدوار ثانوية ومتضائلة القيمة على المسرح الدولي ، وعلى نحو يجافي مصالحها في كثير من الأحيان ، ولنلاحظ كيف فرّطت باستقرارها من أجل إنقاذ الاقتصاد الأميركي من الأزمة المالية ، فسددت فاتورة مضاعفة عما تكبّدهت الدولة المسؤولة عن جمع سحب العاصفة . وبدلاً من أن تنافس أوروبا على دور عالمي تتزاحم فيما بينها على الحصص والمنافع المادية ، في إطار البناء المتواصل للاتحاد الأوروبي ، هذا الذي تغلب عليه الملامح الاقتصادية ، ويخسر مع مرور الوقت قوته السياسية على الصعيد العالمي .

إن من نتائج مسار الانكفاء الأوروبي هذا ، بصرف النظر عن ضجيج الدبلوماسية الخادع ، تلاشي الفروقات بين توجهات الدول الأوروبية المختلفة

(الموقف من العراق مثلاً) ، وبين أوروبا والولايات المتحدة (الموقف من الاحتلال الإسرائيلي والقضية الفلسطينية) ، كما أفقدها ذلك الانكفاء إمكانية أن تحدّد مصالحها بناء على رؤيتها الذاتية وليس على أساس التحالف أو الشراكة من موقع أدنى مع واشنطن . وخير دليل على ذلك أداء باريس وبرلين داخل المجموعة الدولية المعنية بالملف النووي الإيراني ، فواشنطن تحرضهما على التشدد لكنها لا تتردد في إبداء مرونة موصوفة لمنافع تعود عليها وحدها .

والمفارقة الآن هي أن أوروبا التي اعتادت أن تعمل تحت قيادة أميركية ، تبدي عزماً على تولي مهمة عالمية في المنطقة العربية ، مدفوعة بحوافز خاصة بها هذه المرة ، لكنها تفتقر إلى الأدوات السياسية والعسكرية اللازمة لاستكمال هذه المهمة ، فقد فرطت بمكتسباتها ورصيدها التاريخي الذي بنته الدبلوماسية الأوروبية بدأ بعد الحرب العالمية الثانية (الميراث الديغولي والسياسة العربية لفرنسا مثلاً) ، وتزداد تبعيتها العسكرية للولايات المتحدة التي صارت تستحوذ على ٧٥٪ من نفقات دول الناتو العسكرية مقارنة بخمسين بالمئة فقط قبل عشر سنوات .

وتعاني أوروبا من سوء فهم عميق لما يجري في المنطقة ، شأنها في ذلك شأن عواصم القرار الأساسية ، وهذا غير مستهجن من دول ظلّت حتى وقت قريب تتجاهل الرأي العام العربي تماماً . بل إن «التهكّم على الشارع العربي صار أمراً اعتيادياً في أروقة الأليزيه كما في وزارات الخارجية الغربية» ، على ما كتب آلان غريش في «لوموند ديبلوماتيك» أثناء الثورة المصرية ، فهل عليهم «أخذ آراء ملايين العرب الذين لا يتوقع منهم في أفضل الحالات سوى رفع شعارات إسلامية معادية للغرب ، فيما هناك توافق جيد مع الحكومات القادرة على فرض نظام نافع لبلدانهم» .

إن معضلة السياسة الأوروبية تجاه ما يجري هي أنها تتولّى قيادة عملية احتواء الثورات والاحتجاجات العربية ، في ظل فقدان الولايات المتحدة لشهيتها على التدخل المباشر بل تضاًؤل قدرتها على ارتكاب مزيد من العنف العالمي الواسع النطاق . وهذا يعني أنها تحاول أن تؤدّي دوراً مضخّماً يفوق قدراتها السياسية ، ويحتاج إلى إمكانات عسكرية أكبر من قدراتها بأشواط ، وحتى لو كان لديها ما يكفي من إمكانات مالية للتأثير على مسار الأحداث . فإن التدخل الاقتصادي من بؤابة المعونات والقروض الميسرة والمساعدات أثبت فشله مرّات عدّة في تغيير الوقائع حين يكون المسرح محتدماً ، كما يظهر من تجارب الدول التي تعاني من شروخ أو أزمات بنيوية (لبنان مثلاً) .

ومُعصلتها أيضاً هي أنها تصرّ على تفسير الأحداث وتأويلها بطريقتها التقليدية ومن منظور مصالحها الخاصة وحدها ، ووفق الرؤية التي اعتادت أن ترى من خلالها العالم . وهي لذلك تحاول توظيف الثورات لإنتاج أنظمة وحكومات وثيقة الصلة بنظام عالمي متمحور حول الغرب ، متسترة بخطاب مثقل بمزاعم أخلاقية ، ودعاوى قيمية ثبت أنها ديماغوجية وزائفة . لكنها تغفل عن أن انتفاضة العالم العربي تستكمل مساراً عالمياً بدأ قبل سنوات ، وبمهد لقيام تعددية عالمية واثقة ، مكتسبة من نضالات اجتماعية وسياسية بل عسكرية حتى ، تلك التي مكّنت أقاليم عالمية ودولاً محورية من تعزيز استقلاليتها وتحسين موقعها العالمي .

إن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء بالنسبة إلى العالم العربي صارت مستحيلة ، فالشعوب التي نهضت لتقرير مصيرها الداخلي ، وإصلاح حكوماتها وأنظمتها ، تبحث أيضاً عن دور عالمي يليق بمكانة المنطقة ومواردها ، وتستجد نفسها ملزمة باتباع الطريق نفسه الذي سلكته أميركا اللاتينية ، أو دول في شرق آسيا وغربها ، تلك التي عززت موقعها العالمي سياسياً واقتصادياً على

أساس منافسة الدول الغربية وليس الالتحاق بها . وإذا لم تع أوروبا أن الشعوب العربية تطمح إلى نيل حريتها واستكمال تحررها في آن معاً وعلى نحو متآلف غير متناقض فستكرر الخطأ نفسه الذي ارتكبته واشنطن قبل تسع سنوات ، وتحاول بدأب وتصميم تصحيحه وحصر خسائره لكن دون جدوى .



# موقف أوروبا من الثورات العربية

بقلم الآن غريش\*

ترجمة: صالح الأشمر

لفهم الدور الأوروبي حيال الثورات العربية لا بد ابتداءً من التوقف عند تطورين مهمين حصلوا في غضون السنوات الأخيرة هما: التحولات التي طرأت على النظام العالمي، والمكان الذي تحتله أوروبا في هذه التحولات وتناقضاتها.

## تحولات النظام العالمي

كان بعض الأبناء المجمعّة من الجرائد خلال صيف العام ٢٠٠٨، حتى قبيل هبوب العاصفة التي سوف تجتاح العالم المالي، يُنبئ بتغيرات مهمة تحصل على المسرح الدولي: كان عدد مستخدمي الإنترنت الصينيين قد تجاوز عدد نظرائهم الأميركيين، وما عادت الولايات المتحدة تمثل أكثر من ٢٥٪ من حركة

---

\* المدير المساعد لجريدة «لوموند دبلوماسيك» الفرنسية، مُنشط موقع «نوفيل دوريون» (أخبار الشرق).

المرور على الشبكة العنكبوتية ، في مقابل أكثر من ٥٠٪ قبل عشر سنوات . وكانت المساعي الرامية إلى إنعاش دورة المفاوضات الاقتصادية الدولية في الدوحة قد مُنيت بالفشل ، خصوصاً بسبب رفض الهند والصين التضحية بمزارعيهما الذين سبق إفقارهم لصالح التبادل الحر . وكانت روسيا ، إبّان الأزمة الجورجية ، قد دافعت عن مصالحها الوطنية في القوقاز ، على الرغم من احتجاجات واشنطن المتذبذبة . وخلال الفترة نفسها أيضاً بان عجز الولايات المتحدة عن القضاء عسكرياً على التمرد في أفغانستان وعن فرض نظام ملائم لها في العراق .

هذه الوقائع المختلفة ، بين كثير غيرها ، كانت تشهد مذاك على إعادة تركيب للعلاقات الدولية : نهاية هيمنة الغرب التي فرضت في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والضعف الراهن الذي ينتاب المنظومة المالية والذي ما كان منه إلا أن سرّع حركة التقهقر الأوروبي هذه . «نهاية الغطرسة» كان هذا هو العنوان الذي حملته مجلة «درشبيغل» الأسبوعية الألمانية في عددها الصادر في ٣٠ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٨ ، مع هذا العنوان الفرعي : «أميركا تفقد دورها الاقتصادي المهيمن» . وفي آب/ أغسطس ٢٠١١ خفضت وكالة التقييم «ستاندارد إند بوور» مرتبة الولايات المتحدة في سابقة هي الأولى منذ تأسيس الوكالة عام ١٩٤١ . وفي واحدة من سخريات القدر الذي يحتفظ هو بسرّها حدث هذا التطور بعد أقل من عقدين من الزمن على انهيار «المعسكر الاشتراكي» بزعامة الاتحاد السوفياتي وعلى الانتصار الظاهري لمبادئ الاقتصاد الليبرالي .

إننا نلجُ «عالمًا ما بعد- أميركي»<sup>(١)</sup> . وكما يعترف به الكتاب الأبيض حول الدفاع والأمن الوطني الذي تبنته الحكومة الفرنسية في حزيران/ يونيو ٢٠٠٨ ،

---

1- Fareed Zakaria, The Post- American World, W.W. Norton, New York 2008.

فإن العالم الغربي ، أي أوروبا وأميركا جوهرياً ، ما عاد هو المالك الوحيد لزام المبادرة الاقتصادية والإستراتيجية بالمعنى الذي كانت لاتزال تحمله في عام ١٩٩٤ (٢) .

ما من شك على إطلاق في أن الولايات المتحدة سوف تحتفظ ، لسنوات مديدة مقبلة ، بمنزلتها المتفوقة بوجه عام ، وليس على المستوى العسكري وحده . وسيكون عليها مع ذلك أن تأخذ في الحسبان بروز مراكز قوة في بكين ونيودلهي ، وفي برازيليا وموسكو . إن الدول التي سبق التنبؤ بسقوطها نتيجة الضربات العنيفة التي توجهها العولمة ترغب الآن في مكان لها تحت الشمس . وتؤكد الصين ، والهند ، وروسيا ، والبرازيل ، طموحاتها وتعترض على نظام دولي يهّمشها . وثمة بلدان أخرى ، من إيران إلى جنوب أفريقيا مروراً بإسرائيل ، وأمم أميركا الجنوبية ، وإندونيسيا ، ذات المقاصد الأكثر محدودية ، تدافع بحزم عن مصالحتها «الأثانية» .

ما من دولة من هذه الدول تحركها إيديولوجية شاملة كما كان عليه الاتحاد السوفياتي ، ولا أحد يقدم نفسه على أنه نموذج بديل ، وقد ارتضوا جميعهم باقتصاد السوق ، غير أن أحداً لا يفكر في التساهل بخصوص مصالحه الوطنية ، وكلٌّ يصارع أولاً من أجل السيطرة على المواد الأولية المعدنية التي أصبحت أندر وأعلى - النفط والغاز في المقام الأول - لضمان مقدرته على إطعام شعبه بوجود إنتاج زراعي غير كاف ومهدد بسخونة المناخ . وفي المقام الثاني تحافظ هذه الدول على مصالحها الجيوسياسية القائمة على رؤية سياسية والمستندة إلى تاريخ مديد : تايوان والتبت في ما يخص الصين ، كشمير في ما يعني الهند وباكستان ، كوسوفو بالنسبة إلى صربيا ، كردستان بخصوص تركيا .

---

2- Défense et sécurité nationale. Le Livre blanc. (الكتاب الأبيض) , Odile Jacob- La Documentation française, Paris, 2008, p. 34.



هذه النزاعات لم تجد حلولاً لها في إطار عولمة سعيدة- بالعكس ، لا تزال تُعبئ جموعاً غفيرة أكثر من أي وقت مضى وليست نهايتها بقرينة .

### أي مكان تحتله أوروبا في هذه التحولات؟

لنوضح أولاً هذه النقطة : نتكلم هنا عن الاتحاد الأوروبي الذي يضم غالبية دول القارة (مع استثناء بارز هوروسيا) . وفي السياق العالمي الجديد المبين أعلاه تبدو أوروبا في أزمة عميقة وما ذلك لأن «انحدار الغرب» قد مسّها فحسب ، فلقد وقعت من قبل في أزمة دستورية طويلة ، ما كادت تنتهي ، واكبت توسيع اتحادها من ١٥ إلى ٢٧ عضواً ، وكان ينبغي لهذا أن يترافق وإبرام معاهدة دستورية (معاهدة روسيا ٢٠٠٤) كان من شأنها ، مبدئياً ، أن تزود هذا الاتحاد بوسائل تمكّنه من التحرك بطريقة منسقة . ولما كانت هذه المعاهدة قد رفضت في استفتاء شعبي في كل من فرنسا وهولندا كان لابد من انقضاء عدة سنوات قبل التوصل إلى معاهدة لشبونة (عام ٢٠٠٩) التي تلحظ طبعاً خلق منصب ممثل أعلى للشؤون الخارجية (نوع من وزير شؤون خارجية) ، بيد أنها لا تغلب على شلل المؤسسات العاجزة عن اتخاذ قرارات جماعية .

لا يتعلق الأمر بأزمة دستورية فحسب ، فدخول بلدان أوروبا الشرقية الاتحاد طرح مجدداً على بساط البحث مكتسبات سياسة خارجية مشتركة ، وقوى نفوذ الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي في الاتحاد . وكان ذلك ملحوظاً بوجه خاص في الشرق الأدنى وفي السياسة المتبعة بخصوص النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني .

أدت أزمة الدين السيادي وأزمة اليورو خلال العام ٢٠١١ إلى إضعاف الاتحاد وقدراته المالية التي تعطيه ثقلاً لا شك فيه على المسرح الدولي ، هو ثقل المال . ودخلت سياسة الاتحاد المتوسطة ، المتعسّرة من قبل ، في أزمة مع

الثورات العربية التي حرمت بلدان الشمال من شريكين أساسيين هما الرئيسان بن علي ومبارك .

## السياسات الأوروبية قبل الثورات

ثمة عنصران مميّزا سياسات مختلف الدول الأوروبية وسياسة الاتحاد الأوروبي هما :

\* الدعم غير المشروط للحكام الدكتاتوريين ، ولا سيما منهم بن علي ومبارك ، باسم مقاومة الإسلاموية السياسية ، وقد استمر هذا الدعم حتى سقوط مبارك .

\* فرض سياسات ليبرالية جديدة (بنوع خاص في نطاق السياسات المتوسطة) والإطراء المنتظم الذي يُغدقه الاتحاد الأوروبي (ولكن صندوق النقد الدولي أيضاً) على السياسات الاقتصادية التي تتبعها هذه الدول .

ترافقت هذه الإستراتيجية ، طوال العشرية الأولى من العام ألفين ، مع تعديل واضح للسياسة الأوروبية بخصوص النزاع الإسرائيلي - الفلسطيني .

فأوروبا التي كانت قد اتخذت موقفاً طليعياً من هذا النزاع في السبعينات والثمانينات ، مُفتحة حواراً مع منظمة التحرير الفلسطينية ومعترفة بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ، اصطفت مع الولايات المتحدة طوال مفاوضات أوسلو ، ممارسة الضغط على الطرف الأضعف (الفلسطينيين) لكي يقدم مزيداً من التنازلات (كما حصل في أثناء التوقيع الذي لا يصدق على الاتفاق بشأن حبرون (الخليل) عام ١٩٩٦) . في السنوات العشر الأولى من العام ألفين ، بعد اندلاع الانتفاضة الثانية ، ومن ثم «الحرب على الإرهاب» التي شنها الرئيس جورج بوش ، تمكنت في أوروبا الفكرة القائلة بأن النزاع الفلسطيني - الإسرائيلي يندرج في سياق الحرب على الإرهاب ، وأن إسرائيل كان عليها أن

تتصدى لهذا الإرهاب ، وأن الأعمال التي قامت بها لمحاربتة ، من الحرب ضد لبنان في عام ٢٠٠٦ إلى الحرب ضد غزة في ٢٠٠٨ ، كانت مبررة (وإن كان لا بد أحياناً من وصف الوسائل المستخدمة في هاتين الحربين بأنها «غير متكافئة» ) . وطوال الحقبة عينها عززت دول الاتحاد الأوروبي المختلفة علاقاتها الثنائية مع إسرائيل ، كما يشهد على ذلك رفع مستوى العلاقات بين بروكسل وتل أبيب في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨ ومع أن المبادئ المعلنة لسياسة الاتحاد لم تتغير - لا بد لأي حل من أن يقوم على إنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة ، عاصمتها القدس الشرقية ، وإيجاد حل عادل لمشكلة اللاجئين - فقد ارتكزت الممارسة على مكافأة إسرائيل على أعمالها بعدم معاقبتها بأي حال (بشأن بناء المستوطنات ، وحصار غزة ، الخ . . . ) .

لا بد من الإشارة إلى أن التغيير الأبرز والأكثر لفتاً للنظر كان هو التغيير الذي طرأ على السياسة الفرنسية ابتداء من العام ٢٠٠٥ (الستين الأخيرتين من رئاسة جاك شيراك) ، ذلك التغيير الذي تفاقم بعد انتخاب نيكولا ساركوزي رئيساً لفرنسا في عام ٢٠٠٧ ، إلى الحد الذي مكّن بعض المراقبين من طرح فكرة العودة إلى العلاقات الثنائية التي كانت قائمة في عام ١٩٥٦ ، عندما كانت فرنسا وإسرائيل تحاربان معاً ضد جمال عبد الناصر . هذا التعاون يشمل سائر المجالات ، ومن ضمنها العسكري كما يشهد على ذلك رفع الحظر على تجارة السلاح مع إسرائيل الذي كان قد فرضه الجنرال ديغول .

### آلان جوبيه والنقد الذاتي

إن الاتحاد الأوروبي الذي فاجأته الثورات العربية تأخر بعض الوقت لكي يتفاعل معها وانتهى أخيراً إلى إجراء ترتيبات يشهد عليها الخطاب الذي ألقاه آلان جوبيه ، وزير الشؤون الخارجية والأوروبية ، في أثناء ندوة انعقدت بتاريخ

١٦ نيسان/ أبريل ٢٠١١ في معهد العالم العربي بباريس ، حول موضوع : الربيع العربي : رهانات وآمال معقودة على تغيير» .

في البداية اعترف الوزير بأن فرنسا طالما أغمضت عينيها عن ممارسات الحكومات العربية التسلطية ، «لابد من الاعتراف ، في ما يخصنا جميعاً ، بأن هذا الربيع كان مفاجأة لنا . لزمنا مديد كنا نظن بأن الأنظمة الاستبدادية كانت المتاريس الوحيدة لمواجهة التطرف في العالم العربي ، ولزمنا مديد لوّحنا بذريعة التهديد الإسلامي لتبرير نوع من المراعاة لحكومات تزدرى الحرية وتكبح تطور بلدانها» ( . . . ) .

«إنه (هذا الربيع) ثمرة شجاعة غير معتادة . هل نسينا ثمن الحرية والديمقراطية ، نحن الذين قاتلنا ، منذ سبعين سنة ، دفاعاً عن هاتين القيمتين؟ هل نسينا كم يكلف ذلك من دم يُسْفك وأرواح تزهق عندما ينبري أناس لمقاومة البربرية ، عندما يتحدثون طاغية كما يفعل الليبيون هذه الأيام؟» .

«هذا الربيع العربي» هو ثمرة المسؤولية ، والدليل عندي على ذلك هو موقف الشباب المصري في ميدان التحرير ، لقد التقيتهم الشهر الماضي ، في أثناء زيارتي إلى القاهرة ، ولقد استمعت إليهم وهم يحدثونني عن مشاريعهم ، وآمالهم ، ومخاوفهم . كنت متأثراً بهدوئهم ، ولكن تأثرت أيضاً برفضهم السماح لمصادرة انتصار هو ملك لشعبهم ، وليس لحزب أو دين .

ولقد أخذت بحماستهم ، وحلمهم بمصر متصالحة مع ذاتها ، ديمقراطية ، وقادرة على تأمين فرص العمل لأجيالها الشابة ، وقلت في نفسي : «وماذا لو قُدر للشعوب العربية أن تنجح؟» ( . . . ) .

نعم بالنسبة إلينا جميعاً ، هذا « :الربيع العربي» هو أمل ضخم . لكنه تحد ضخم أيضاً» .

ثم إن الوزير اعترف أيضاً بأن سياسة مقاطعة قوى المعارضة في العالم

العربي لم تكن مجددة ، وكان ينبغي التحدث مع الجميع ، بمن فيهم الجماعات الإسلامية ، والإخوان المسلمون في المقام الأول .

«أخيراً ، هذا هو فحوى الرسالة التي وجهتها إلى سفرائنا في البلدان العربية الذين جمعتهم أمس في باريس ، طالباً إليهم توسيع طيف محاورهم ليشمل عموم الفاعلين في المجتمع المدني ( . . . ) وأتمنى أن يفتح هذا الحوار بلا عقد على التيارات الإسلامية ، ما أن تغدو المبادئ التي ذكرتها الساعة ، أي قواعد اللعبة الديمقراطية ، ورفض كل أشكال العنف موضع احترام من الجهتين» .

«إن ما ينبغي علينا إعادة النظر فيه اليوم هو مجمل سياستنا بخصوص العالم العربي» .

### في ما يتعدى الخطابات

لا يسعنا التغاضي عن هذا النقد الذاتي لكن لا بد من تقدير حدوده :

\* أولاً : على الصعيد السياسي لم يطرأ تطور جوهري على الخطاب الفرنسي ، ولا الخطاب الأوروبي ، بشأن انتهاكات الحقوق الإنسانية في العالم العربي ، وإذا ما بقيت سوريا عرضة للانتقادات اللاذعة ، فلا القمع العنيف في البحرين ، ولا انتهاكات الحقوق السياسية في الجزائر كما في السعودية ، تشكل موضوع انتقاد . أما في المغرب فقد رحبت سلطات بروكسل مثل نظيرتها الفرنسية بإصلاحات الملك على الرغم من محدوديتها .

\* ثانياً : على الصعيد الاقتصادي من المبكر إبداء الرأي ، لكن لا الاتحاد الأوروبي ولا فرنسا طرحا على بساط البحث السياسات الليبرالية المفروضة على جنوب البحر الأبيض المتوسط .

على نحو أعم لا تزال سياسة الاتحاد الأوروبي بخصوص الثورات العربية والاضطرابات في المنطقة قيد التحديد على مستوى التفاصيل .

ثم إن تغيير النماذج القائمة يملئ على جميع الأطراف الفاعلة أن تعيد تموضعها ولا يمكن التفكير في أن الاتحاد وفرنسا (والولايات المتحدة حتى) والأطراف الفاعلة ميدانياً يمكن أن تعيد تموضعها سريعاً: لا بد من مرور الزمن . قبل الإتيان إلى التدخل في ليبيا ، كمثال على تناقضات السياسات الغربية ، من المهم إشهار فكرة نجدها في العالم العربي حول استعداد البلدان الغربية للتحالف مع الإخوان المسلمين .

لا ريب في أن تحالفاً كهذا قيِّض له تاريخياً أن ينمو ويتسع ، خصوصاً مع الولايات المتحدة : في الستينيات لمقاومة الناصرية ، وفي الثمانينات لمحاربة التدخل السوفياتي في أفغانستان . مثل هذا التحالف هل هو ممكن اليوم؟ لا ، لأسباب متباينة هي : المشاعر المعادية للمسلمين في العالم الغربي ، ولا سيما بعد ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ ، وحقيقة أن عدداً من المسؤولين الأميركيين يعتقدون أن التحالف الذي نشأ في الثمانينات هو الذي سمح بظهور القاعدة ، والنزاع الفلسطيني ، مثل النزاع القائم في العراق وفي أفغانستان ، وهي نزاعات تشكل عوائق مهمة . طبعاً ، يمكن التفكير ، هنا أو هناك ، في حصول حوارات ، ونفاهمات جزئية ، لكنني لأعتقد أن هذا الأمر يمكنه أن يفضي إلى ما هو أبعد من ذلك .

لكن من المؤكد أن الأوروبيين سوف يميلون إلى تشجيع «الاستقرار» على حساب التحولات العميقة في المنطقة .

### التناقضات الغربية في ليبيا

تشهد ليبيا على الصعوبة التي يجدها الغربيون في تحديد موقف مشترك . كان قرار مجلس الأمن الرقم ١٩٧٣ ، وهو ما ينبغي التذكير به ، قد حظي بموافقة كل من فرنسا والمملكة المتحدة اللتين صوتتا على القرار ، لكنه اصطدم

بمعارضة ألمانيا ، ولم يثر أية حماسة من قبل الولايات المتحدة التي أيدت القرار بتحفظ ، جاعلة تدخلها العسكري محدوداً .

لا بد على الفور من إشهار فكرة تزعم بأن الغربيين إنما تدخلوا في ليبيا لنهب نفطها . والحق أن العقيد القذافي كان قد منح في العامين ٢٠٠٥-٢٠٠٦ ، بعد رفع العقوبات التي كانت مفروضة عليه ، الأولوية للشركات الأميركية التي كانت من قبل تتمتع بسيطرة واسعة في البلاد . وإذن ، لماذا كان هذا التدخل؟ (٣) .

كانت مبررات الرئيس نيكولا ساركوزي مرتبطة بالمكان الذي ستحتله فرنسا في المستقبل ، وهي التي فقدت سمعتها نتيجة دعمها للحكام المستبدين ، وكان يظن أن القيام بتدخل (سيكون سريعاً في رأيه) من شأنه أن يعيد الاعتبار لفرنسا ، ويعطيها ثقلاً مستقبلياً لا في ليبيا وحدها بل في المغرب قاطبة ، بما هو منطقة إستراتيجية لفرنسا . وكانت حسابات دافيد كامرون ماثلة ، علاوة على أنه يريد أن يظهر أن المملكة المتحدة لا تزال قوة عسكرية .

أما الولايات المتحدة الغارقة من قبل في أزمة مالية عميقة والمتورطة في حربين فلم تفتح جبهة ثالثة إلا مترددة ، إذ لم تكن ليبيا رهاناً أساسياً لها .

دفع الانزلاق في مستنقع النزاع بعض المعلقين إلى الجزم بأن الغربيين يريدون تقسيم البلاد . هذه الفكرة سخيفة ، ذلك أن وجود بؤرة تؤثر على أطراف أوروبا ، مع ما تنطوي عليه من إمكانات زعزعة الاستقرار في منطقة الساحل برمتها ، وأفريقيا الشمالية ومصر ، لا يخدم على وجه اليقين مصالح واشنطن ولا مصالح الاتحاد الأوروبي . هذا الانزلاق هو في الوقت عينه نتيجة لعدم تنظيم المعارضة الليبية ، ولأبعاد النزاع القبلي ، ولضعف قوات حلف شمال

---

3- Jean-Pierre Sereni, "Le pétrole Libyen de main en main" (النفط الليبي من يد إلى يد) Le Mond diplomatique, avril 2011.

الأطلسي من التحرك ميدانياً (تدخل سيكون مرفوضاً بالتأكيد من قبل الرأي العام الأوروبي والأميركي). زد على ذلك أن هذا النزاع يجعل أي تدخل عسكري في سوريا مستحيلاً عملياً ، فلا فرنسا ولا المملكة المتحدة تمتلكان الوسائل اللازمة لهذا التدخل ، وإن كانت تتمنيانه .

يُظهر المثال الليبي أننا لسنا بإزاء سياسة متفق عليها ومنسقة لا من قبل الاتحاد الأوروبي ولا من جهة الغربيين ، هؤلاء مثلهم مثل الفاعلين الآخرين ما زالوا يتساءلون عن الاستراتيجيات التي يتعين إتباعها وليسوا متّحدين بالضرورة ، وإذا كانوا جميعهم لا يمتلكون جميعاً الطريقة ذاتها لتحليل تلك الأحداث ومن ثم الاستجابة لها .

### مسألة فلسطين

في الخطاب الذي أوردنا أعلاه يعلن آلان جوييه : «إن تطلعات الشعب الفلسطيني ليست بأقل مشروعية من تطلعات الشعوب الأخرى في ضفة المتوسط الجنوبية .

ولـ«إسرائيل» ، في ما يخصها ، الحق في العيش بأمان وسلام . من أجل ذلك ينبغي ، في غضون الأشهر المقبلة ، لفكرة قيام دولة فلسطينية ديمقراطية ، قابلة للحياة ، ومتصلة ، تعيش في سلام وأمان إلى جانب دولة إسرائيل ، أن تترك سجلّ الرُقيّ والعبارات السحرية لتصبح حقيقة . نحن على علم بجميع العناصر الضرورية للحل :» ويجدر بنا منذ الآن العمل على وضعها موضع التطبيق . إن فرنسا لن تدخر جهداً للمضي في هذا الاتجاه» .

إن مسألة الاعتراف بدولة فلسطينية من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في أيلول / سبتمبر ٢٠١١ تقسم الاتحاد الأوروبي - مثل انقسامه بشأن الوحدة بين فتح وحماس التي رحبت بها فرنسا باعتبارها خطوة إلى الأمام . ولقد سعت



باريس ، على الرغم من تأكيدها مراراً أن هذا الاعتراف ليس بالفكرة الجيدة ، إلى تقديم مبادرة لاستئناف المفاوضات ، بيد أن إسرائيل والولايات المتحدة رفضتا هذه المبادرة ، وما لم تحدث تقلبات في المواقف في اللحظة الأخيرة فإن الاتحاد الأوروبي سيقبل على التصويت مشئت الرأي ، مثبتاً مرة أخرى عجزه عن ابتكار سياسة خارجية فعالة .

**كيف يمكن تطوير تعاون جديد بين العالم العربي والاتحاد الأوروبي**  
لقد تغير العالم . إذا كان الاتحاد الأوروبي لا يزال شريكاً مهماً للعالم العربي ، خصوصاً في المجال الاقتصادي ، فهو لم يعد الشريك الوحيد . ثم إن للصين أو البرازيل ، والهند أو كوريا الجنوبية ، وزناً مهماً ويمكنها أن تفيده الثورات العربية في إرساء ثقل مواز لأوروبا ومعادلتها .

إن الإطار المتوسطي عامل حاسم ، والمؤسف أن قلة من القوى السياسية في الجنوب قدّرت هذا الرهان حق قدره وإنها قادرة على تقديم مقترحات غير تلك التي يقدمها الشمال وتلك المتعلقة بفتح الأسواق<sup>(٤)</sup> . ومع ذلك ففي إطار هذا التعاون الجديد بين الضفتين يمكن بناء قاعدة صلبة لإنماء المتوسط إنماء متوازناً ، مفيداً للشمال والجنوب على السواء .

كذلك ينبغي أن تكون مسألة الهجرات في صميم هذا التعاون . إن الرد الأوروبي على الهجرات الناجمة عن الفقر وعن الحرب في ليبيا أيضاً غير مقبول ، سواء على مستوى المبادئ أو المستوى الإنساني ، وعلى الدول العربية ألا ترضى بأن تكون «حراس القلعة المسماة أوروبا» .

يوجد على وجه اليقين العديد من المشكلات السياسية المعقدة (الصحراء

4- Georges Corm, "Foire d'empoigne autour de la Méditerranée" «بؤرة مشاجرات حول المتوسط» Le Monde diplomatique, juillet 2008.

الغربية ، دارفور ، الخ . . .) التي تتطلب توافقات صعبة . في المقابل ، يجب أن تكون مسألة فلسطين في صلب المناقشات ، من حيث إن جميع محاولات التعاون المتوسطي التي جربتها بروكسل أخفقت بسبب هذه العقبة . ولقد آن الأوان لكي تطالب البلدان العربية الاتحاد الأوروبي بأن يجعل أفعاله منسجمة ومبادئه وألا ينمي تعاونه مع دولة ترفض منذ سنوات احترام القانون الدولي .

كلمة أخيرة في الختام . إذا كان التعاون بين الدول مهماً ، فالأمر الحاسم أيضاً يتمثل في تطوير نوع من التنسيق بين القوى الشعبية في الشمال والجنوب ، يشمل جميع الملفات المذكورة . إن هذا التنسيق ، أكثر من التنسيق بين الدول ، هو الذي سيتيح حقاً التقدم نحو نظام دولي أكثر عدلاً .



## التعقيبات

«السياسات الأوروبية الجديدة تجاه التطورات العربية»

### أسئلة وردود المشاركين

بعد المحاضرة التي ألقاها الأستاذ آلان غريش بعنوان «موقف أوروبا من الثورات العربية»، قدّم المشاركون في الندوة مداخلات متنوعة وطرحوا أسئلة متعلقة بموضوع هذه الندوة، وقد جاءت وفق الترتيب التالي :

\* قتل المحاضر من أهمية النفط في الحروب الحديثة . ولكن لماذا غزا الأميركيون العراق عام ٢٠٠٣ . السبب معروف ، كان صدام حسين قد لزم الشركات الفرنسية استخراج النفط من العراق وطرده الأميركيين والانكليز ، فاحتل الأميركيون وحلفاؤهم العراق !

\* هل يكون تدخل ساركوزي في ليبيا نوعاً من رد الفعل على ما فات فرنسا من مكاسب نفطية في العراق فحاول الحصول على تعويض في ليبيا حيث للأميركيين والانكليزي كل الحصص من النفط الليبي؟

\* منذ سنوات بدأ الحديث عن شرق أوسط جديد يجري فيه تقسيم سبع دول عربية وإسلامية ، ثمة اعتقاد بان التدخل الغربي الحالي في ليبيا ، أو في ما يحدث في اليمن وفي سوريا ، وخصوصاً بعد تقسيم السودان ، إنما يدخل في هذا السياق التقسيمي .

\* ثمة وجهة نظر تقول بأن عجز الولايات المتحدة والغرب عموماً عن بناء الشرق الأوسط الجديد منعهما من أن يضمنا تغييراً سلمياً ومراقباً ومُنضَبطاً

للأنظمة العربية والإفريقية ، مما أحدث هذه الموجة من الحراك السياسي الذي سيدخل المنطقة في مرحلة انتقالية طويلة قبل أن تستقر .

\* إن العجز البيوي الذي تعاني منه الثورات العربية ولا سيما ضعف المكوّن الوطني الديمقراطي سيعيقها عن أن تقود نهضة عربية استقلالية جديدة ، ويجعلها مدار تنافس دولي متعدد الأقطاب : الغرب ، روسيا ، الصين . . . سوف يشتد في المرحلة المقبلة .

\* ما هي فرص أوروبا في هذا التنافس؟ علماً بأن تدخلها حتى الآن يتم بطريقة خاطئة ، سواء باستخدام العنف العسكري في ليبيا ، أو ما تقوم به الآن من ضغط سياسي واقتصادي على سوريا .

\* أصبحت أوروبا اعجز من بعض دول العالم الثالث عسكرياً واقتصادياً ، فلم يعد بإمكانها أن تلعب دوراً رئيسياً على المسرح الدولي . هل بات من المحتم أن تبقى السياسة الخارجية الأوروبية ملحققة بالسياسة الأميركية ، وهل تستطيع دول أوروبا الـ ٢٧ أن تعتمد سياسة خارجية موحدة لتكون مؤثرة في عالم متعدد الأقطاب؟

\* يقولون في الولايات المتحدة إن سياسة أميركا تجاه الشرق الأوسط يسيرها شيان : النفط وإسرائيل ، أو إسرائيل والنفط ! ما الذي يسير السياسة الأوروبية اليوم- إذا كانت هذه السياسة موجودة- أو ما الذي يسير السياسة الفرنسية؟

\* بعد سقوط الاتحاد السوفياتي استطاعت الولايات المتحدة على مدى عقد من الزمن على الأقل أن تفرض هيمنتها لقطب وحيد في العالم . وعندما نتحدث الآن عن عالم ما بعد القطبية الواحدة يجب أن نأخذ في الاعتبار فشل الولايات المتحدة في تحقيق مشروع الشرق الأوسط الجديد ، ولو نجحت في فرض هذا المشروع وبسطت هيمنتها على كل منابع النفط ومصادر القوة في المنطقة لتغير المشهد الدولي برمته . لقد كان لهذا الفشل دور أساسي في تشكيل المنظومة العالمية الراهنة .

\* إن عجز أوروبا عن إيجاد حل حقيقي للشعب الفلسطيني ، وعن التجاوب مع طموحات شعوبنا وثوراتنا وأجنتها النظيفه ، سيفتح المنطقة على صراع تركي- إيراني أساساً . لأن كل من تركيا وإيران جاهزة أكثر من مصر لأن تقود المرحلة القادمة ، تركيا تقود اتجاهاً إسلامياً مرتبطاً بالأميركيين أكثر من الأوروبيين ، وإيران والقوى الأخرى الأكثر استقلالية ستقود الصراع على هذه الجبهة !

\* كانت حكومات أوروبا تدعم الحكام العرب ، الذين باتوا يوصفون بالطغاة ، حتى آخر دقيقة من حكمهم ، أما أن الأوان لتطالب الشعوب الأوروبية حکامها بان يكونوا شفافين كما يفعلون حيال العالم الثالث ؟ .  
\* هل أن الثورات العربية ستؤثر على الرأي العام الأوروبي ، ولا سيما بشأن الموقف من القضية الفلسطينية؟ وهل سيكون الشارع العربي ناخباً في صناديق الاقتراع الأوروبية؟

\* ما هي حظوظ نجاح مؤتمر السلام المزمع عقده في باريس؟  
\* ماذا وراء استضافة الصهاينة الفرنسيين لاجتماع المعارضة السوري في باريس؟ هل هناك أسباب أخرى غير سعي تيار اللوبي الصهيوني في أوروبا ، وفرنسا خصوصاً ، إلى استخدام التحركات الشعبية العربية وحرّفها عن أهدافها ، وكذلك استغلال بعض التيارات الإسلامية؟

\* لماذا يُسمح في أوروبا بإبداة مشاعر العداة للإسلام ، أو الاسلامفوبيا ، في حين لا يتقبل الغربيون التعبير عن معاداة الصهيونية ، لا السامية طبعاً ، في بلادنا ، وإذا تعرض إسرائيل لآي اعتداء بحجر أو سكين يوصف هذا العمل بأنه إرهابي ، بينما لا يعتبر قيام الكيان الصهيوني بقصف المدن العربية وتدمير المؤسسات المدنية عملاً مشروعاً وغير إرهابي؟

## ردود آلان غريش

\* النفط هو سبب الهيمنة الغربية على المنطقة . ولكن هذا لا يعني أن النفط هو الهدف الأساسي لكل حرب ؟ ، ففي العراق معظم العقود التي أبرمتها الحكومة العراقية بعد سقوط صدام حسين كانت مع شركات غير أميركية وغير أوروبية . إذا كان الأميركيون لا يستطيعون أن يفرضوا على الحكومة العراقية أن تكون الاتفاقات النفطية مع شركات أميركية فهل يستطيع ساركوزي أن يفرض على الحكومة الليبية إبرام اتفاقات مع شركات فرنسية؟ .

\* الأبعاد السياسية والإيديولوجية للتدخل موجودة أيضاً ، وهي جزء من وجهة نظر إستراتيجية ولكن :

\* هل يوجد فكر إستراتيجي أميركي - أوروبي بشأن المنطقة قائم منذ عشرين سنة أو أكثر؟ من الصعب إدراك ما سيحصل بعد شهرين ، ولا توجد قوة في العالم يمكنها أن تتوقع ماذا سيحصل بعد ١٠ سنوات وترتب سياساتها على هذا الأساس . طبعاً ، توجد توجهات عامة ، وإذا أخذنا الاتجاهات الأميركية ، فإن تأييد إسرائيل هو خط إستراتيجي ! .

\* كيف تتعامل الولايات المتحدة مع الثورات العربية؟ أعتقد أن الولايات المتحدة لا تعرف ماذا تفعل اليوم . وسوف ترى ماذا سيحصل في اليمن وفي سوريا ، وستأخذ بعين الاعتبار ما سيحصل على الأرض ، ولديها وجهة نظر في مستقبل المنطقة .

\* حول فكرة تقسيم المنطقة ، أظن أنه يوجد اتجاه لتقسيم المنطقة ، ورأينا ما حدث في العراق وفي السودان ، لا لأنه توجد خطة أميركية لتقسيم المنطقة بل لأن الأزمات الموجودة في العالم العربي تخلق المناخ للتقسيم . يمكن أن يوجد فكر إستراتيجي لإسرائيل يتضمن التقسيم ، لأن إسرائيل منذ زمن تفكر في الدول الطائفية ، مثل دولة درزية ودولة مارونية .

لكن التقسيم بالنسبة إلى قوة مثل أمريكا يخلق مشاكل كثيرة ، أميركا لا تريد أفغانستان جديدة في السودان أو في أي منطقة . واليوم إذا تفككت ليبيا ، فهذا يعني أن جنوب ليبيا سيكون في يد القاعدة . لا أعتقد أنه يوجد تفكير أميركي أو فرنسي ضد العرب ، كلا لا أعتقد . ولكن هذا لا يعني عدم وجود اتجاهات وخطط تحدث عن التقسيم . عندما ذهبت إلى السعودية أول مرة قالت لي الحكومة بوجود خطة أميركية لتقسيم السعودية وإنشاء دولة شيعية مع البترول والأرض .

هل توجد مثل هذه الخطة؟ يوجد طبعاً مراكز كتبت حول هذا الموضوع ، ولكن هل هذا يعني وجود خطة أميركية لتقسيم السعودية؟ لا أعتقد ذلك . قد يحصل غداً تقسيم في السعودية ، ويتدخل الأميركيان ، ونقول نعم منذ مئة سنة وهم يفكرون في هذا الشيء . لا أميل إلى هذا الرأي ، لسبب كبير وهو أن التاريخ ليس في يد الأميركيان ، بل في يد الشعوب . والذي نراه اليوم على الأرض في العالم العربي أن الشعوب تصنع التاريخ ، طبعاً مع تدخلات وأنا لا أنفي وجود أي تدخل .

وفي النهاية سوف يكون كسب للأميركيين ، وهم عندهم مخططات سوف تطبق على الأرض؟ كلا ، كان يوجد مخطط أميركي يقول بتأييد مبارك حتى النهاية ، وتبين أن بإمكان الشعب المصري أن يحارب هذه التدخلات .

\* حول مشكلة أوروبا . لا توجد سياسة أوروبية موحدة ، ولن تكون خلال العشر سنوات القادمة سياسة مشتركة ، خصوصاً سياسية وعسكرية . في الحد الأقصى ستكون هناك سياسة اقتصادية . ولذلك أسباب عديدة منها أن الأميركيين لا يريدون قوة أوروبية . ونحن نعرف أن في العالم العربي ٢٢ دولة تتكلم اللغة نفسها وتعتنق الدين ذاته ، ولا يوجد أي وحدة . نحن عندنا ٢٧



دولة مع أديان مختلفة ولغات مختلفة وتاريخ مختلف فكيف سنتوحد؟ إن أوروبا الموحدة هدف غير سهل .

\* المستقبل في أوروبا في يد الشعوب الأوروبية . كتب د . جورج قرقم مقالاً جميلاً في الصحافة الفرنسية قال فيه : «دروس الشارع العربي للشعب الأوروبي» وهذا سيحصل وهذه الدروس والثورات التي حصلت في اسبانيا واليونان والبرتغال أظن أنه سيكون لها تأثير . ولعل هذا سيغير الوضع في أوروبا .

\* بالنسبة إلى «الإسلامفوبيا» . هذا الاتجاه (العداء للإسلام) ، يلعب الآن دوراً قوياً في أوروبا ، لأسباب اجتماعية واقتصادية . هناك خوف من الهجرة الموجودة في أوروبا في كل وقت (الهجرة اليهودية ، الهجرة من أوروبا الشرقية) وهناك خوف ثقافي ، وعلاقة المجتمعات الأوروبية مع الدين ليست قوية كما هي في أميركا .

\* يرى المعادون للإسلام أنه ليس ديناً ، ويعتبرونه ثقافة مختلفة عن ثقافتنا الأوروبية والفرنسية ، وهذا الفكر موجود بقوة وقد بدأ كخطاب غربي منذ ١٠ سنوات . يقولون بأن الغرب قوة تتعرض الآن لهجوم من بقية العالم . هذا الفكر خطير جداً ، فالعالم فيه منقسم بين الشرق والغرب ، والصراع الأساسي هو صراع الحضارات . وهذا يلعب دوراً سيئاً في المجتمعات الأوروبية ، وسيكون له دور في الانتخابات للأسف . والآن رأينا شيئاً جديداً في الحركات اليمينية المتطرفة ، التي لها وزن حقيقي في كل المجتمعات الأوروبية ، وخصوصاً في فرنسا مع ماري لوبن ، فهذه الحركات كانت تاريخياً ضد اليهود . والآن حصل تغيير هام ، فأصبح العدو الأساسي هو الإسلام والحليف الأساسي هو إسرائيل ، وإسرائيل هي الدولة التي تدافع عن الغرب ضد البرابرة الإسلاميين .

\* بالنسبة إلى موضوع التدخل في ليبيا ، لا يوجد جواب سهل . وأنا ضد هذا التدخل . ولكن لماذا الشباب العربي في مصر وشباب الثورة في اليمن لم يتظاهروا تضامناً كما تظاهروا بعشرات الآلاف مع صدام حسين ضد التدخل الأميركي في عام ١٩٩١ ؟ .

\* حول الثورات العربية ، استغرب وجهة النظر إلى هذه الثورات حيث لا أجد تفاوتاً كبيراً . وأظن أن البعض لا يأخذ بعين الاعتبار أن ما حصل حدث تاريخي سيغيّر المنطقة .

\* يقال إن الذي حصل في مصر سوف يتراجع إلى الوراء . كلا

\* طبعاً سيكون التغيير صعباً . خصوصاً أنه لا توجد قوة سياسية كالتى كانت في الخمسينيات ، ولا يوجد مفهوم للثورة كمفهوم الثورة في القرن العشرين ، يعني ثورة مع حزب ومع برنامج واضح ، بمعنى أن نأخذ السلطة ونصقّ .

\* إن ثورة عام ١٧٨٩ في فرنسا بدأت بدون برنامج ، وبدون ثوار ، بدأت هكذا . وبعد سنة كان معظم الفرنسيين ما زالوا يؤيدون الملك ويحبونه ، وبعد سنتين صنعنا الجمهورية .

\* لا أقول إن الشيء نفسه سيحصل هنا ، ولكن الذي حصل هو تغيير في الإنسان العربي ، وليس تغييراً سياسياً فقط . الناس لا تريد حكومات مثل التي كانت سابقاً ، حكومات تقوم على التعذيب والترهيب .

\* طبعاً ، سيحصل تدخل أميركي وأوروبي ، لكن الدول التي قامت فيها تلك الثورات يمكنها أن تتعامل مع أميركا أو أوروبا ، كما تتعامل مع الصين والهند والبرازيل الخ . . .

عندما كنت في مصر رأيت مجموعة من الناس تقول إن مصر يمكنها أن

تلعب غداً دوراً تلعبه اليوم تركيا ، بمعنى أنها حليف الأميركيين ولها في الوقت نفسه سياسة مستقلة . المشكلة أن عدد السكان في تركيا ومصر متساو . ولكن الإنتاج في تركيا ٣ أضعاف الإنتاج في مصر . إذاً لم تتوفر استقلالية اقتصادية ، لن تكون هناك استقلالية فعلية . يوجد مشاكل كثيرة في مصر ، حيث يجب بناء مجتمع سياسي ، واقتصاد جديد . اعتقد أن القوة متوافرة لتحقيق هذه الأهداف والأجيال الجديدة التي لم تعش هزيمة ١٩٦٧ مستعدة لأن تلعب دوراً في هذا المجال ، والمستقبل في يدها ، وهذا الشيء مهم جداً .

\* حول مشكلة سوريا ، ومشكلة الإسلاميين . سياسة فرنسا أن يكون هناك تحالف مع قوى الإخوان المسلمين ، طبعاً يمكن أن يتم استدعاء شخص أو شخصية من الإخوان المسلمين ضد سوريا ، ولكن أظن أنه لا توجد إمكانية تحالف إستراتيجي . ولكنني أرى إمكانية تحالف إستراتيجي بين الأميركيين والإخوان المسلمين كما حصل في الستينيات . ثم إن الإخوان المسلمين اليوم ليسوا الإخوان المسلمين كما كانوا في الستينيات ، وكذلك الأميركيين ، والعالم العربي اليوم مختلف ، ولا يمكن أن نفكر في التاريخ كل مرة بالطريقة نفسها ، التاريخ لن يكرر نفسه .

\* حول مشكلة سوريا ووسائل الإعلام ، أظن أيضاً أن الأجوبة غير سهلة . إن خطاب وسائل الإعلام الغربية عن سوريا هو خطاب سياسي وليس خطاباً إعلامياً وهذا واضح . ولكن البلد مغلقة ، والآن تم فتحها قليلاً ، ويوجد ٤ صحافيين أجانب زاروا سوريا .

\* مشكلة النظام السوري أنه يعتقد أن موقفه الإيجابي من المقاومة ضد إسرائيل ، وتأييد المقاومة في لبنان ، سوف يحل كل مشاكله .

هذا النظام الذي أخذ مواقف إيجابية ضد أميركا وإسرائيل يتعامل مع شعبه

بطريقة غير مقبولة من أحد . كيف يمكن الخروج من هذا النفق؟ ليس عندي جواب ، والجواب عند الشعب السوري . ولكن من الصعب جداً أن نقول إن هذه مؤامرة إسرائيلية ومؤامرة أميركية . وطبعاً توجد مؤامرة ، ولكن هل الناس التي نزلت إلى الشارع كلها مع المؤامرة؟ هذا غير صحيح .

\* الآن يوجد خطاب جديد عند الرئيس بشار الأسد وهو إجراء إصلاحات ، والخطوات التي تحدث عنها ايجابية . ولكن المشكلة هي كيف سيتعامل النظام مع المواطنين؟

\* أظن أن التغيير سوف يحصل في سوريا ، ومهم أن نعرف لصالح من سيكون؟ هل يكون لصالح الأميركيين وإسرائيل ، أو لصالح المقاومة ، وحتى يأتي لصالح المقاومة يجب أن يكون هناك تغيير حقيقي .

\* بالنسبة إلى مؤتمر السلام في باريس ، لا يوجد أي إمكانية لنجاحه . علماً بأن من المستحيل اليوم أن يكون هناك أي حل سياسي مع هذه الحكومة الإسرائيلية .

\* اليوم مصدر الخوف الأساسي للأميركيين وحتى للأوروبيين هو صدور قرار الاعتراف بالدولة الفلسطينية في الأمم المتحدة .

\* طبعاً سيكون هذا القرار فوزاً رمزياً للفلسطينيين ، لأنه لن يغيّر شيئاً في الواقع . إلا أن هذا الأمر يخيف الأميركيين والإسرائيليين فبدأوا يتكلمون من جديد عن عملية سلام .

\* أعتقد أنه لا توجد عملية سلام ، وعلى كل حال واضح أن فكرة عملية السلام التي بدأت من مدريد حتى الآن ليست موجودة ، ويجب أن نغيّر المقاييس وأن نغيّر المفاوضات .

\* نحن في أوروبا عندما نتكلم عن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي يظن

الناس والرأي العام أنه يوجد شعبان أحدهما يحتل أراضي الآخر ويجب أن يتفاوضا .

المشكلة في أوروبا أن السياسيين أنفسهم لا يفهمون أن هذه القضية ليست قضية بسيطة . وفلسطين طبعاً لا يوجد فيها بترول والناس فيها يموتون أقل من الناس الذين يموتون في العراق . أعتقد أن التغيرات التي حصلت في العالم العربي سوف تضغط على الأوروبيين حتى يفهموا هذا الموضوع وأن من مصلحتهم أن يكون هناك حل لهذه القضية لأنه لا يمكن أن تكون هناك علاقات عادية بين العالم العربي وأوروبا من دون حل لهذه القضية .

poinds important et peuvent servir aux révolutions arabes à imposer un contrepoinds à l'Europe et le d'égalité.

Le cadre méditerranéen est déterminant, et il est regrettable que peu de forces politiques du Sud aient vraiment pris la mesure de cet enjeu et soient capables de formuler des propositions autres que celles du Nord et de celles de l'ouverture des marchés. C'est pourtant dans cette coopération nouvelle entre les deux rives que peut se construire une base solide pour un développement équilibré de la Méditerranée, profitable au Nord et au Sud.

La question des migrations doit aussi être au c ur de cette coopération. La réponse de l'Europe aux migrations provoquées par la pauvreté et aussi par la guerre en Libye est inacceptable, tant sur le plan des principes que sur le plan humain. Les pays arabes doivent refuser de devenir »les gardiens de la forteresse Europe.«

Il existe bien sûr de nombreux problèmes politiques complexes (Sahara occidental, Darfour, etc.) qui demandent des concertations difficiles. En revanche, la question de Palestine devrait être au c ur des débats, dans la mesure où toutes les tentatives de coopération méditerranéenne tentées par Bruxelles ont échoué sur cet écueil. Il est temps que les pays arabes exigent de l'Union qu'elle mette ses actes en accord avec ses principes et qu'elle ne développe pas sa coopération avec un Etat qui refuse depuis des années de respecter le droit international.

Un dernier mot, en conclusion. Si la coopération entre les Etats est importante, il est aussi décisif que se développe une coordination entre les forces populaires du Nord et du Sud sur tous les dossiers mentionnés. C'est cette coordination plus que celle des Etats, qui permettra vraiment l'avancée vers un ordre international plus juste.

---

1- Fareed Zakaria, *The Post-American World*, W.W. Norton, New York, 2008.

2- Défense et sécurité nationale. Le Livre blanc, Odile Jacob - La Documentation française, Paris, 2008, p.۳۴,

3- Jean-Pierre Sereni, »Le pétrole libyen de main en main«, *Le Monde diplomatique*, avril 2011.

4- Georges Corm, »Foire d'empoigne autour de la Méditerranée«, *Le Monde diplomatique*, juillet 2008.

yenne, des dimensions tribales et de l'interdiction faite aux troupes de l'OTAN d'agir sur le terrain (une intervention qui serait sans doute rejetée par les opinions européennes et américaine). Il rend d'ailleurs pratiquement impossible toute intervention militaire en Syrie, ni la France ni le Royaume-Uni n'ayant, même s'ils le souhaitaient, les moyens de la mener.

L'exemple libyen montre que nous ne sommes pas en face d'une politique concertée et coordonnée ni de l'Union européenne, ni des Occidentaux. Comme les autres acteurs, ils s'interrogent encore sur les stratégies à suivre et ne sont pas forcément unis. S'ils veulent tous influencer sur le cours des événements, ils n'ont pas tous la même manière de les analyser et donc d'y répondre.

## **La question de Palestine**

Dans le discours cité plus haut, Alain Juppé déclarait : " Les aspirations du peuple palestinien ne sont pas moins légitimes que celles des autres peuples de la rive sud. Israël, pour sa part, a le droit de vivre en sécurité et en paix. C'est pourquoi, au cours des prochains mois, l'idée d'un Etat palestinien démocratique, viable, continu, vivant en paix et en sécurité aux côtés de l'Etat d'Israël, doit quitter le registre de l'incantation pour devenir une réalité. Nous connaissons tous les grands paramètres d'une solution : ils doivent désormais être mis en uvre. La France ne ménagera pas ses efforts en ce sens."

La question de la reconnaissance d'un Etat palestinien par l'Assemblée générale de l'ONU en septembre 2011 divise l'Union européenne - comme celle de l'unité entre le Fatah et le Hamas que la France a saluée comme un pas en avant. Paris, bien qu'ayant affirmé à plusieurs reprises que cette reconnaissance n'était pas une bonne idée, a essayé de présenter une initiative pour relancer les négociations, mais celle-ci a été rejetée et par Israël et par les Etats-Unis. A moins de revirements de dernière minute, l'Union européenne devrait aller dispersée lors du vote, montrant une fois de plus son incapacité à forger une politique étrangère efficace.

## **Comment développer une coopération nouvelle entre le monde arabe et l'Union européenne**

Le monde a changé. Si l'Union européenne reste un partenaire important pour le monde arabe, notamment dans le domaine commercial, il n'est plus le seul. La Chine ou le Brésil, l'Inde ou la Corée du Sud, pèsent d'un

c'est l'alliance des années 1980 qui a permis l'émergence d'Al-Qaida ; le conflit palestinien, comme ceux de l'Irak et de l'Afghanistan qui constituent des obstacles importants. Bien sûr, on peut envisager, ici ou là, des dialogues, des ententes partielles, mais je ne pense pas que cela puisse aller plus loin. Il est toutefois sûr que les Européens auront tendance à encourager »la stabilité« au détriment des transformations profondes dans la région.

## **Les contradictions occidentale en Libye**

La Libye témoigne de la difficulté des Occidentaux à définir une position commune. La résolution 1973 du conseil de sécurité de l'ONU, il faut le rappeler, a été votée par la France et le Royaume-Uni, mais s'est heurtée à l'opposition de l'Allemagne ; elle n'a soulevé aucun enthousiasme aux Etats-Unis qui s'y sont ralliés avec réticence, limitant leur engagement militaire.

Il faut tout de suite fait le sort à une idée qui voudrait que les Occidentaux soient intervenus pour faire main basse sur le pétrole libyen. En réalité, le colonel Kadhafi avait dans les années 2005-2006, après la levée des sanctions contre lui, accordé la priorité aux compagnies américaines qui étaient déjà largement dominantes dans le paysiii. Alors, pourquoi cette intervention ?

Les motivations du président Nicolas Sarkozy étaient liées à la place future de la France, discréditée par son soutien aux dictatures. Il pensait qu'une intervention (qui selon lui serait rapide) redorerait le blason de Paris, et lui donnerait un poids futur non seulement en Libye, mais dans tout le Maghreb, région stratégique pour le France. Les calculs de David Cameron étaient similaires et, de plus, il voulait montrer que le Royaume-Uni restait une puissance militaire. Quant aux Etats-Unis, déjà plongés dans une crise financière profonde et enlisés dans deux guerres, il n'ont ouvert un troisième front qu'avec réticence, la Libye n'étant pas un enjeu principal pour eux.

L'enlèvement du conflit a amené certains commentateurs à affirmer que les Occidentaux voulaient diviser le pays : cette idée est absurde. Un foyer de tension aux marges de l'Europe, avec ses capacités de déstabilisation de toute la région du Sahel, de l'Afrique du Nord et de l'Egypte n'est sûrement ni dans les intérêts de Washington ni ceux de l'Union européenne. Cet enlèvement est le résultat à la fois de la désorganisation de l'opposition lib-



ile. (i) Et je souhaite que ce dialogue s'ouvre sans complexe aux courants islamiques, dès lors que les principes que je viens d'évoquer, les règles du jeu démocratique, le refus de toute violence sont respectés de part et d'autre.”

“Aujourd'hui, c'est toute notre politique à l'égard du monde arabe que nous devons repenser.”

### **Au-delà des discours**

On ne saurait négliger cette autocritique, mais il faut aussi en mesurer les limites:

–d'abord sur le plan politique, le discours français comme européen, sur les violations des droits humains dans le monde arabe n'a pas fondamentalement évolué. Si la Syrie reste la cible de critiques virulentes, ni la violente répression à Bahreïn, ni les violations des droits politiques en Algérie comme en Arabie saoudite ne font l'objet de critiques. Quant au Maroc, les autorités de Bruxelles comme celles de Paris ont salué les réformes pourtant limitées du roi ;

- sur le plan économique, il est encore tôt pour se prononcer, mais ni l'Union européenne ni la France n'ont mis en cause les politiques libérales imposées au Sud de la Méditerranée.

Plus largement, la politique de l'Union européenne à l'égard des révolutions arabes et des bouleversements dans la région reste encore à définir dans le détail. Les changements de paradigmes obligent tous les acteurs à se repositionner et on ne peut penser que ni l'Union, ni la France (ni même les Etats-Unis) ni les acteurs sur le terrain le fassent rapidement: il faudra du temps.

Avant de venir à l'intervention en Libye, comme exemple des contradictions des politiques occidentales, il est important de faire un sort à une idée que l'on trouve dans le monde arabe, la disposition des pays occidentaux à s'allier avec les Frères musulmans. Certes, dans l'histoire, une telle alliance a pu se développer, notamment avec les Etats-Unis: dans les années 1960 pour lutter contre le nassérisme; dans les années 1980 pour combattre l'intervention soviétique en Afghanistan. Une telle alliance est-elle possible aujourd'hui? Non, pour des raisons diverses: les sentiments anti-musulmans dans le monde occidental, notamment depuis le 11-Septembre; le fait que nombre de responsables américains pensent que

d'un colloque le 16 avril 2011 à l'Institut du monde arabe à Paris, sur le thème: "Printemps arabe: enjeux et espoirs d'un changement". Le ministre a d'abord reconnu que la France avait été surprise par le printemps arabe et qu'elle avait trop longtemps fermé les yeux sur les pratiques autoritaires des gouvernements arabes:

“Il faut bien le reconnaître, pour nous tous, ce "printemps" a constitué une surprise. Trop longtemps, nous avons pensé que les régimes autoritaires étaient les seuls remparts contre l'extrémisme dans le monde arabe. Trop longtemps, nous avons brandi le prétexte de la menace islamiste pour justifier une certaine complaisance à l'égard de gouvernements qui bafouaient la liberté et freinaient le développement de leur pays.”(...)

“Il est le fruit d'un courage hors du commun. Avons-nous oublié le prix de la liberté et de la démocratie, nous qui, il y a 70 ans, nous sommes battus pour défendre ces valeurs ? Avons-nous oublié ce qu'il en coûte de sang versé et de vies sacrifiées quand on s'élève contre la barbarie, quand on défie un tyran comme les libyens le font aujourd'hui ?”

“Ce "printemps arabe" est le fruit de la responsabilité. J'en veux pour preuve l'attitude des jeunes Egyptiens de la place Tahrir. Je les ai rencontrés le mois dernier, lors de ma visite au Caire. Je les ai écoutés me parler de leurs projets, de leurs espoirs, de leurs craintes. J'ai été impressionné par leur calme, mais aussi par leur refus de se laisser confisquer une victoire qui est celle de leur peuple, et non celle d'un parti ou d'une religion. Je me suis laissé gagner par leur enthousiasme, par leur rêve d'une Egypte réconciliée, démocratique, capable de donner du travail à sa jeunesse. Je me suis dit: "Et si les peuples arabes réussissaient ?". (...) Oui, pour nous tous, ce "printemps arabe" est un immense espoir. Mais c'est aussi un immense défi.”

Le ministre a aussi reconnu que la politique de boycott des forces d'opposition dans le monde arabe n'avait pas été fructueuse, qu'il fallait parler avec tout le monde, y compris les groupes islamiques, en premier lieu les Frères musulmans.

“C'est enfin le sens du message que j'ai adressé à nos ambassadeurs dans les pays arabes que j'ai réunis hier à Paris, en leur demandant d'élargir le spectre de leurs interlocuteurs à l'ensemble des acteurs de la société civ-

économiques de ces Etats.

Cette stratégie s'est accompagnée, durant les années 2000, par un net infléchissement de la politique européenne concernant le conflit israélo-palestinien. L'Europe, qui avait été à l'avant-garde sur ces questions dans les années 1970 et 1980, en ouvrant un dialogue avec l'Organisation de libération de la Palestine (OLP) et en reconnaissant le droit des Palestiniens à l'autodétermination, s'est alignée sur les Etats-Unis durant toutes les négociations d'Oslo, faisant pression sur la partie la plus faible (les Palestiniens) pour qu'ils multiplient les concessions (comme lors de la signature de l'incroyable accord sur Hébron en 1996). Dans les années 2000, après le déclenchement de la seconde Intifada, puis "la guerre contre le terrorisme" lancée par le président George W. Bush, s'est imposée en Europe l'idée que le conflit israélo-palestinien s'inscrivait dans la guerre contre le terrorisme, qu'Israël devait faire face à ce terrorisme, que ses actions pour le combattre, de la guerre contre le Liban en 2006 à celle contre Gaza en 2008 étaient justifiées (même si les moyens utilisés étaient parfois qualifiés de "disproportionnés"). Durant cette même période, les différents Etats et l'Union européenne ont renforcé leurs relations bilatérales avec Israël, comme en a témoigné le rehaussement en décembre 2008 des relations entre Bruxelles et Tel-Aviv. Même si les principes affichés de la politique de l'Union n'ont pas changé - toute solutions repose sur la création d'un Etat palestinien en Cisjordanie et Gaza, avec Jérusalem-Est comme capitale et une juste solution du problème des réfugiés -, la pratique a consisté à encourager Israël dans ses actions en ne la sanctionnant jamais (sur la colonisation, sur le blocus de Gaza, etc.)

Il faut noter que le changement le plus spectaculaire a été celui de la politique française à partir de 2005 (les deux dernières années de la présidence de Jacques Chirac), changement qui s'est accentué avec l'élection de Nicolas Sarkozy en 2007. A tel point que certains observateurs ont pu évoquer le retour aux relations bilatérales de 1956, quand la France et Israël se battaient ensemble contre Nasser. Cette coopération touche tous les domaines, y compris militaire comme en a témoigné la fin de l'embargo décrété par le général de Gaulle sur le commerce des armes avec Israël.

## **L'autocritique d'Alain Juppé**

Prise de court par les révolutions arabes, l'Union a mis un temps à réagir et a finalement opéré des ajustements dont témoigne le discours tenu par M. Alain Juppé, ministre des affaires étrangères et européennes, lors

## **Quelle place y occupe l'Europe ?**

Eclaircissons d'abord un point : nous parlons ici de l'Union européenne qui englobe la majorité des Etats du continent (à l'exception notable de la Russie). Dans le nouveau contexte international décrit plus haut, l'Europe apparaît profondément en crise et pas seulement parce qu'elle serait touchée par “le déclin de l'Occident”. Elle a d'abord été frappée par une crise institutionnelle longue, à peine résolue, qui a accompagné son élargissement de quinze à vingt-sept membres. Cet élargissement devait s'accompagner d'un traité constitutionnel (traité de Rome, 2004) qui lui aurait, en principe, donné les moyens d'agir de manière coordonnée. Ce traité ayant été rejeté par référendum en France et aux Pays-Bas, il fallut plusieurs années pour aboutir au traité de Lisbonne (2009) qui, certes, prévoit la création d'un Haut représentant pour les affaires étrangères (une sorte de ministre des affaires étrangères), mais qui ne surmonte pas la paralysie des institutions incapables de prendre des décisions collectives.

Il ne s'agit pas seulement d'une crise institutionnelle. L'entrée dans l'Union des pays de l'Europe de l'Est a remis en cause les acquis d'une politique étrangère commune, renforcé l'influence des Etats-Unis et de l'OTAN sur l'Union. Cela a été particulièrement perceptible au Proche-Orient et dans la politique à l'égard du conflit israélo-palestinien.

La crise de la dette souveraine et celle de l'euro durant l'année 2011 ont affaibli l'Union et ses capacités financières qui lui donnaient un poids certain sur la scène internationale, l'argent. Et la politique méditerranéenne de l'Union, déjà en difficulté, est entrée en crise avec les révolutions arabes qui ont privé les pays du Nord de partenaires essentiels, les présidents Ben Ali et Moubarak.

## **Les politiques européennes avant les révolutions.**

Deux points ont caractérisé les politiques à la fois des différents Etats européens et de l'Union européenne:

-le soutien inconditionnel aux dictateurs, notamment à Ben Ali et Moubarak, au nom de la lutte contre l'islamisme politique ; ce soutien s'est poursuivi jusqu'à la chute de Moubarak ;

- l'imposition de politiques néolibérales (en particulier dans le cadre des politiques méditerranéennes) et l'éloge régulier fait par l'Union européenne (mais aussi par le Fonds monétaire international) des politiques

dental. “La fin de l'arrogance”, titrait l'hebdomadaire allemand Der Spiegel, le 30 septembre 2008, avec ce sous-titre: “L'Amérique perd son rôle économique dominant”. En août 2011, l'agence de notation Standard & Poor dégradait la note des Etats-Unis - une première depuis sa création en 1941. Par une de ces ironies dont l'histoire a le secret, cette évolution se déroulait moins de deux décennies après la déroute du “camp socialiste” dirigé par l'Union soviétique et au triomphe apparent des principes de l'économie libérale.

Nous entrons dans un “monde post-américain”. Comme le reconnaissait le Livre blanc sur la défense et la sécurité nationale adopté par le gouvernement français en juin 2008, “le monde occidental, soit essentiellement l'Europe et l'Amérique, n'est plus le seul détenteur de l'initiative économique et stratégique au sens où il l'était encore en 1994<sup>(2)</sup>”.

Sans aucun doute, les Etats-Unis garderont, pour de longues années encore, leur place prééminente, et pas seulement sur le plan militaire. Ils devront toutefois prendre en compte l'émergence de centres de puissance à Pékin et à New Delhi, à Brasilia et à Moscou. Les Etats dont on avait prédit l'affaiblissement sous les coups de boutoir de la mondialisation veulent leur place au soleil. La Chine, l'Inde, la Russie, le Brésil affirment leurs ambitions et contestent un ordre international qui les marginalisait. D'autres pays, de l'Iran à l'Afrique du Sud en passant par Israël, les nations sud-américaines, l'Indonésie, aux visées plus limitées, défendent leurs intérêts “égoïstes” avec détermination.

Aucun de ces Etats n'est animé par une idéologie globale comme l'était l'Union soviétique. Aucun ne se présente comme un modèle alternatif. Tous ont, plus ou moins, accepté l'économie de marché. Mais aucun ne songe à transiger avec ses intérêts nationaux. Chacun se bat d'abord pour le contrôle des matières premières minérales devenues plus rares et plus chères \_ en premier lieu, le pétrole et le gaz \_ , pour assurer sa capacité à nourrir sa population avec une production agricole insuffisante et menacée par le réchauffement climatique. En second lieu, ils protègent leurs intérêts géopolitiques fondés sur une vision politique et sur une histoire très longue: Taiwan et le Tibet pour la Chine; le Cachemire pour l'Inde et le Pakistan; le Kosovo pour la Serbie; le Kurdistan pour la Turquie. Ces conflits ne sont pas dissous dans une mondialisation heureuse \_ au contraire, ils mobilisent plus que jamais de larges masses et ne sont pas près de s'éteindre.

# L'Europe face aux révolutions arabes

Par Alain Gresh\*

Pour comprendre le rôle de l'Europe face aux révolutions arabes, il est nécessaire de commencer par rappeler deux développements importants de ces dernières années : les transformations de l'ordre mondial ; la place que l'Europe y occupe et ses contradictions.

## Transformation de l'ordre mondial

Quelques nouvelles glanées au fil des journaux durant l'été 2008, avant même le déferlement de l'ouragan qui allait dévaster la planète financière, indiquaient déjà des changements importants sur la scène internationale : le nombre d'internautes chinois avait dépassé celui de leurs homologues américains, et les Etats-Unis ne représentaient plus que 25 % du trafic de la Toile, contre plus de la moitié dix ans auparavant ; les tentatives pour ranimer le cycle de Doha des négociations commerciales internationales avaient échoué, notamment en raison du refus de l'Inde et de la Chine de sacrifier leurs agriculteurs déjà appauvris sur l'autel du libre-échange ; la Russie avait défendu, au cours de la crise géorgienne, ses intérêts nationaux dans le Caucase, au mépris des protestations velléitaires de Washington. C'est aussi durant la même période qu'apparaissait l'incapacité militaire des Etats-Unis à venir à bout de l'insurrection en Afghanistan et à imposer à l'Irak un ordre à sa convenance.

Ces divers faits, parmi bien d'autres, témoignaient déjà d'une recomposition des relations internationales : la fin de l'hégémonie de l'Occident qui s'était imposée dans la première moitié du XIXe siècle. L'affaissement actuel du système financier n'a pu qu'accélérer ce mouvement de repli occi-

---

\* Directeur adjoint du Monde diplomatique, animateur du blog Nouvelles d'Orient.

C'est pour cela qu'elle œuvre pour exploiter ces révolutions et produire des régimes et des gouvernements liés étroitement au système mondial axé autour de l'Occident, sous couverture d'un discours accablé par des allégations morales et des assertions qui ne relèvent que de la pure démagogie.

Elle omet de voir que les soulèvements du monde arabe poursuivent un parcours mondial entamé depuis quelques années, et lequel introduit à une pluralité mondiale inexorable, acquise grâce aux luttes sociales, politiques voire mêmes militaires qui ont permis à des régions de par le monde et à des pays d'axe de consolider leur indépendance et d'améliorer leur position mondiale.

Un retour en arrière est désormais impossible pour le monde arabe. Les peuples qui ont décidé de prendre en main leur sort intérieur, de réformer leur gouvernement et leur régime, et qui cherchent aussi un rôle important qui puisse convenir à leur position dans la région et à leur ressources et richesses, se trouvent obligés de prendre le même chemin que celui des pays latino-américains, ou d'Asie de l'est et de l'ouest, surtout ceux qui ont renforcé leur position politique et économique, à la base d'une concurrence avec les états occidentaux et non d'un ralliement à eux.

Si l'Europe n'est pas consciente que les peuples arabes aspirent à obtenir leur liberté et à achever en même temps leur libération, d'une manière simultanée et non contradictoire, elle est en train de répéter la même erreur que Washington a commise il y a neuf années. Celle-là même qu'elle tente de remédier, ou d'en limiter les pertes. Mais en vain !

tiques et militaires nécessaires pour l'accomplir.

Sachant qu'elle a sacrifié ses acquis et son legs historique édifié avec assiduité grâce à sa diplomatie (dont l'héritage de gaullien et la politique arabe de la France par exemple).

Aujourd'hui, sa dépendance militaire à l'encontre des Etats-Unis est telle que ces derniers s'accaparent 75% des dépenses militaires des pays de l'Otan alors qu'elles étaient de l'ordre de 50% dix ans plus tôt.

L'Europe souffre d'une incompréhension profonde de ce qui se passe dans la région, comme c'est le cas dans les principales capitales de décisions. Ce qui n'est certes pas étonnant de la part d'états qui ont pendant longtemps complètement ignoré l'opinion publique arabe.

D'autant plus que le fait de tourner en dérision la rue arabe est devenu quelque chose de normale dans les couloirs de l'Elysée, comme dans ceux des ministères des affaires étrangères occidentaux.

Comme l'a écrit Alain Gresh pour le Monde diplomatique durant la révolution égyptienne "pourquoi devraient-ils prendre l'avis de millions d'arabes, qui dans les meilleurs cas ne sont capables que de lever des slogans islamistes hostiles à l'Occident, alors qu'il y a une bonne entente avec des gouvernements capables d'imposer un système qui leur est bénéfique".

Le problème de la politique européenne à l'encontre de ce qui se passe est qu'elle s'est chargée de confisquer les révolutions et les mouvements de contestations arabes, alors que les Etats-Unis semblent avoir perdu l'appétit de l'ingérence directe, et voient leur capacité à commettre davantage de violence mondiale de grande envergure se réduire.

Ceci insinue que l'Europe tente d'assumer un rôle amplifié par rapport à ses réelles capacités politiques et a donc besoin de possibilités militaires considérablement supérieures aux siennes. Même si elle dispose de moyens financiers suffisants pour influencer sur le cours des événements, l'ingérence économique en accordant de l'aide et des prêts facilités a prouvé son échec pour changer les réalités dans des régions perturbées. ( l'instar des Etats qui souffrent de troubles et de crises structurelles comme c'est le cas du Liban par exemple).

La deuxième difficulté de l'Europe réside du fait qu'elle s'obstine à expliquer les événements à la lumière de ses propres intérêts, et en fonction de l'optique à travers laquelle elle a l'habitude de voir le monde.



tion de cette politique après le recul esquissé par des capitales européennes principales dans leurs positions connues de la guerre de l'Irak, sous la menace. Le ralliement de l'Europe avec Washington n'est pas dû à un renversement de son opinion publique, ni aux changements des gouvernements ou des parlements.

Dans la seconde moitié du vingtième siècle, les populations européennes ne votaient pas pour déterminer exclusivement les choix internes, mais pour choisir les traits généraux des positions internationales de leur gouvernement. Chaque état pouvait se permettre d'adopter une politique de trois : soit en se ralliant d'une manière catégorique avec Washington, soit le contraire en le récusant, soit en optant pour une neutralité relative, dans un contexte souple et variable.

Aujourd'hui, l'Europe se contente de jouer les rôles secondaires et sans grande valeur sur la scène internationale, souvent au dépens de ses intérêts. Nous constatons par exemple comment elle a sacrifié sa stabilité pour sauver l'économie américaine de la crise financière, payant la facture double par rapport à celle de l'état responsable ---. Au lieu que l'Europe joue le jeu de la concurrence pour décrocher un rôle mondial, et rivaliser en vue d'obtenir les gains matériels, et ce dans le cadre de l'édification de l'Union européenne, régie par ses dimensions économiques, elle est au fur et à mesure en train de perdre sa force politique sur la scène mondiale.

Parmi les séquelles du repli européen, hormis le bruitage diplomatique trompeur, citons l'érosion des particularités dans les directives qui régissaient les positions européennes entre elles (comme dans le cas de l'Irak par exemple), ou celles entre l'Europe et les Etats-Unis (s'agissant de la position de l'occupation israélienne et de la cause palestinienne).

Ce repli lui fit perdre aussi toute initiative pour définir ses intérêts à la lumière de sa propre vision, et non à la base de son alliance ou de son partenariat fait à ses dépens avec Washington. La preuve en est le comportement de Paris ou de Berlin au sein de la communauté internationale concernée par le dossier nucléaire iranien. Force est de constater que Washington les incitait à durcir sa position, alors qu'elle n'hésitait pas à assouplir la sienne en faveur de ses intérêts.

Paradoxalement, c'est l'Europe qui a pris l'habitude d'agir sous le commandement américain qui fait preuve ces derniers temps d'une volonté de s'arroger une mission mondiale dans la région arabe, motivée cette fois-ci par des orientations qui lui sont propres, quoiqu'elle manque d'outils poli-

# **L'Europe et les transformations dans le monde arabe**

**Le rôle amplifié**

**Abdel Halim Fadlallah**

Les révoltes arabes ne soulèvent pas des interrogations exclusivement dans les pays et les régions touchés par les événements. Ils suscitent la critique et impose une révision dans le monde entier.

Ceci est dû au fait que ce phénomène est récent et distinct de tous ceux qui l'ont précédé à l'ère de la mondialisation. La raison en est aussi l'imbrication des intérêts des grandes puissances dans une région soumise depuis des décennies à une internationalisation intensive et sans précédent dans les relations internationales.

En principe, ce sont les faits internes qui devraient dessiner les perspectives de ces soulèvements et leur donner leur force pour aller de l'avant. Mais l'on ne peut ignorer les circonstances externes, - aussi bien celles qui les ont précédés, comme les déboires de la politique américaine au Moyen Orient, et qui ont exposé ses alliés-, que celles qui les ont escortés, à l'instar des velléités d'exploiter les contestations internes, bon gré mal gré, dans le contexte des conflits régionaux ultérieurs, ou dans le cadre des arrangements du système mondial révolu, et touché par des crises importantes.

L'Europe est particulièrement touchée par cet événement arabe, vu la promiscuité géographique et l'importance des intérêts bilatéraux impliqués sur les trois bords de la méditerranée (nord-est-sud). Mais le plus important est que ceci intervient au moment où le vieux continent subit davantage de pertes au niveau de sa politique internationale, après avoir attelé toutes ses carrosses à la politique étrangère étatsunienne.

Nous avons été témoin de la dissipation du dernier signe de la distinc-



## **Table des matières**

- L'Europe et les transformations dans le monde arabe: le rôle amplifié...	7
- L'Europe face aux révolutions arabes .....	11
- Les commentaires .....	27
- Les réponses .....	27

**L'Europe et les transformations  
dans le monde arabe**

# Le centre consultatif pour les études et la documentation



Une institution scientifique et spécialisée qui s'occupe  
des études et des informations.

**Les tables rondes:** Une collection irrégulière qui concerne les conférences et les réunions tenues au Centre et qui s'intéresse à l'approche des questions stratégiques ainsi que les différents problèmes du développement.

**La table ronde intitulée** "La nouvelle politique européenne face aux actualités arabes", a été tenue le 07-07-2011.

Le directeur du Centre, M. Abdel Halim FADLALLAH, a prononcé le discours inaugural de cette rencontre dont M. Walid CHARARA a été le modérateur et à laquelle ont participé un nombre d'intéressés, de chercheurs, d'hommes politiques, de figures de la presse et de professeurs.

**Conférencier:** M. Alain GHRECHE

**Rédacteur:** M. Saleh ACHMAR

**Édité par:** Le centre consultatif pour les études et la documentation

**Date de publication:** septembre 2011, chawaal 1432 de l'Hégire

## Tous droits réservés

**Le sixième numéro**

**Première édition**

**Un livre de format 14\*21**

**Adresse:** Bir Hassan, derrière le parc d'attractions "Fantasy World",  
avenue Assad, Immeuble „Al-Inmaa Group", premier étage.

**Téléphone:** 01- 83 66 10

**Fax:** 01- 83 66 11

**Portable:** 03- 83 34 38

**Courriels:** [dirasat@dirasat.net](mailto:dirasat@dirasat.net)

[www.dirasat.net](http://www.dirasat.net)

**Les opinions exprimées dans cette collection ne reflètent pas nécessairement  
celles du Centre consultatif pour les études et la documentation.**

**L'Europe et les transformations  
dans le monde arabe**

